گۆڤارا زانستێن مرۆڤایەتی یا زانکۆیا زاخۆ
مجلة العلوم الانسانية لجامعة زاخو
Humanities Journal of University of Zakho (HJUOZ)
Vol. 8, No. 3, pp. 375–381, September-2020.
hjuoz.uoz.edu.krd
p-ISSN: 2664-4673
e-ISSN: 2664-4681
journals.uoz.edu.krd

الرؤى القلبية ومكاشفاتها في الشعر الصوفي

هشيار زكي حسن

قسم اللغة العربية، فاكولتي التربية، جامعة كوية، اقليم كوردستان– العراق.

تاريخ الاستلام: 2020/07 **تاريخ القبول:** 2020/09 **تاريخ النشر:** 2020/09 https://doi.org/10.26436/hjuoz.2020.8.3.628

الملخص:

البحث يتناول (رؤى القلبية ومكاشفاتها في الشعر الصوفي) من خلال قراءة إشاراتها النصية الموحية وأسرارها الملغزة وقيمها الإشارية العرفانية الماثلة في مقولات دواوين اقطاب الصّوفية شعرا " بهدف الوقوف دلالتها في سياقاتها الحضارية " فالدراسة إعادة قراءة القيم السّلوكية الصّوفية من منظور رؤية قلبية كشفية منثورة في أشعار أقطاب الصوفية فصلاح الأجساد مرهون بقلوبها" كما قررته السُنة الشريفة " فالتصوّف في تشكيل معالمه الحضارية يستند على منطق الروح و جذباته القلبية إلى الأسرار الإلهية ، بعد تصفيته من الأغيار (غير الله) ومن ثم تأتي مرحلة بناء القيم الإنسانيّة بعد إعمار القلوب وتصفيتها من الأغلال والأحقاد والضغائن. وهنا عمدنا إلى دراسة مفردة القلب وتلويناتها الدلالية وتقلباتها في المعاني الروحية عند الصوفية ، واجرينا مسحاً لورود مفردة القلب في أشعار الصوفية للوقوف على القيمة المعرفية الناجمة من الإدراك القلبي لكونه أعظم أثراً من المدركات العقلية . ولما كانت المعرفة الصوفية قلبية لا عقلية تستند على الدليل الخارجي ، فهذا يعني ضيق الثاني(العقلية) ومحدوديته ، وسعة الأول وامتداد الأفق المعرفي فيه ، فالعقل محجوب بضيقه وظلمته ، أما المعرفة القلبية فأسسها حق اليقين .

الكلمات الدالة: القلب ، الشعر الصوفي، دلالات القلب ، اشارات صوفية.

1. المقدمة

تشتغل هذه الدّراسة على جماليات الرؤية القلبية في الشعر الصوفي من خلال استنطاق كشوفاتها الموحية واسرارها الملغزة وقيمها إشارية العرفانية الماثلة في مقولات أقطاب الصّوفية شعرا " بهدف إعادة بعث تلك القيم وإنعاشها في سياقاتها الحضارية الإيجابية " وإذ يختصّ البحث هنا بدراسة القيم السّلوكية الصّوفية من منظور رؤية قلبية كشفية " فهي تؤمن أن التصوّف في تشكيل معالمه الحضارية يستند إلى منطق الروح و جذباته القلبية إلى الأسرار الإلهية بهدف تصفيته ومن ثم تأتي مرحلة بناء القيم الإنسانيّة بعد إعمار القلوب وتصفيتها من الأغلال والأحقاد والضغائن ، فالقلب اسم جامع لكل مرتكزات الايمان و التوحيد لقوله تعالى " كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ (المجادلة آية 22). وقوله" إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (ق آية 37).

كما أن صلاح الأجساد مرهون بقلوبها" لقوله صلى الله عليه وسلم " إن في الجسد لمضغة لو صلحت لصلح الجسد كله ولو فسدت فسد الجسد كله ،ألا وهي القلب "(مسلم 1988م/رقم الحديث1599) وقد تعدد الاستعمال القرآني للقلب في دلالاته على معان منها. القلب بمعنى العقل كما في قوله تعالى " رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (التوبة آية 93) أو بمعنى الروح كما في قوله " وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ" (الأحزاب آية 10) وبمعنى الرأي كما في قوله تعالى " تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ" الحشر/14 وبمعنى المضخة التي تضخ الدم داخل الصدر.كما في قوله تعالى " فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)"(سورة الحج آية46)(ينظر: المهداوي2017م ص253–257) .إن المعرفة عند المتصوفة تتأسس من خلال تقويض أدوات المعرفة العقلية ، يقابله تعميق للرؤيا القلبية في المعاينة وإذكاء شرارته. فالقلب لا العقل هو أداة المعرفة لديهم وللمتصوفة في ذلك اقوال لاتحصى نورد اثنين منها دفعا للإطالة . ومن ذلك قول الامام احمد الرفاعي شيخ الطريقة الرفاعية: "القلب جوهرة مظلمة مغمورة بتراب الغفلة ، ونورها الذكر ،وصندوقها الصبر ، والذكر حفظ القلب من الوسواس وترك الميل الى الميل الى الناس والتخلى عن كل قياس"(المهداوي 2010م ص245) ومنها قول (ابو طالب المكي) " إن للقلب سمعا ولسانا وشما ، وإن من الخواطر ما يقع في سمع القلب فيكون فهما ، منها ما يقع في لسان القلب فيكون كلاما وهو الذوق ، ومنها ما يقع في شم القلب فيكون علما وهو العقل المكتسب بتلقيح العقل الغريزي "(2010م ص259) ، وعلى هذا الأساس تنقسم المعرفة إلى مراتب ثلاث هي:«علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين، والأول: مستند على

الدليل والثاني : ما أعطته المشاهدة والكشف ، والثالث: ما حصل من العلم بما أريد له ذلك المشهود»(الجبوري1999م ص136–137).

والمعاني الروحية عند الصوفية إدراكها قلبي ،فالقلب عنده أشرف منزلة من العقل ، والعقل أعلى مرتبة من الحواس الظاهرة ، فعلى هذا تكون القيمة المعرفية الناجمة من الإدراك القلبي أعظم أثراً من المدركات العقلية ، والمعرفة العقلية أعمق تأثيرا من اللذة الحسية. فالمعرفة الحسية عابرة آنية لارتباطها بالحاسة المدركة والأشياء ، فإذا زال الإدراك انتهى أمرها،كما أن الحواس لا تستطيع أن تبقى في تواصل إدراكي لما يحيط بها، أما المعرفة الروحية فإدراكها قلبي ، وهي عند الصوفي منزلة تجتمع فيها الحقائق الإلهية،والكشوفات الربانية ، وبهذا الصدد فإن اللذة الروحية المنوطة بالقلب « لا شيء أبهى وأجمل ولا أكمل ولا أعلى منه ، إنه باين النقص فلا يناله ، وأستحق الكمال فلا ينازع فيه ، وإن وصله والقرب منه إذا حصل وتمكن الالتذاذ به مناسبٌ لكماله ، وقرب لا يغيره بعد ، وصفاء لا يشوبه كدر ، وخلود لا يوهنه زمان»(الخطيب 1988م ص 401)

ولما كانت المعرفة الصوفية قلبية لا عقلية تستند على الدليل الخارجي ، فهذا يعني ضيق الثاني ومحدوديته ، وسعة الأول وامتداد الأفق المعرفي فيه ، فالعقل محجوب بضيقه وظلمته ، أما المعرفة القلبية فأسسها حق اليقين وفيه « يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان »(السهروردي 2006م ج 1ص 148) كما أن المعرفة الصوفية تقلب مبدأ الاستدلال العقلي ، الذي يقوم على الاستدلال بالكون على المكون ، أو الوجود على واجب الوجود . والاستدلال الحقيقي الحق لديهم ينهض على التنزيه المطلق للذات الإلهية عن الوجود " لأن الحق هو الوجود ، والأشياء صور الوجود»(ابن عربي ج3 ص 353) والعكس لا يصح .

لذا جاءت الأحوال الصوفية تعبيرا عن النفس عما تشعر به من القرب من الحضرة الإلهية وجمالاتها إثر خلو القلب مما سوى الحق ، فكان نتاجها حال السكر ، والسكر نتاج فعل البصيرة أو الرؤيا الباطنة. يقول أبو بكر(الشبلي 1967م ص 87){من مجزوء الهزج} .

فمهلا أيها السّاقي ... فقد أسْكرَتني الشُربُ
فإنْ لمْ تركَ العينُ ... فـقد يُبْصِرُكَ القَلْبُ

فالصوفي في لحظة المشاهدة بعين البصيرة(القلب) يملك زمام المبادرة ، لذا فهو ينطق بلسان الجمع ، لأن المحب والمحبوب هنا يصيران شيئا واحدا ، فشدة الوجد التي تنتاب الصوفي نتاج شدة القرب من الجمالات ، فيرغمه الجمال بسطوته على الإذاعة ، وما يذاع هو الجمال لا سره ، والجمال قد يذاع " أما سره فعصي على الإفصاح نفسه ، لأنه سر بين العبد وربه .

لقد وجهت الصوفية خطاباتها في مدوناتهم الشعرية المشحونة بلغة العشق الإلهي في قلوبهم الضامئة إلى معاينة تجلياتها ورؤية اشراقاتها واستشراف انوارها .وهذا ما يدعمه كثافة حضور القلب في كل ايقاعات تلك الأشعار. التي غالبا ما تجيئ تعبيرا عن مكامن الشوق ومدارك الإحساس بتجليات الحقائق الإلهي في الوجود على تنوع مراتبها ، فتجربة العشق الإلهي عند المتصوفة شعرا قبل أن تستند على منطق وجداني في تذوق تلك التجليات. فهي تتخذ من المعرفة القلبية الخالصة دعامتها العظمى في التذوق والكشف ، حتى أنهم نظروا إلى تلك التجليات في صورها الحسية بعين القلب بوصفها أثرا من آثار الذات الإلهية ، التي تتجلى حسنا وجمالا على الموجودات كافة .وهو ما يؤكده ابن عربي بقوله(ابن عربي 1997م ص 180){ من الطويل }.

وما أنا ممنْ قَـيَّد الحـبُ قلـبَهُ ... بليلى و لُبْنى أو دَخُولٍ ومأسَلِ
ألا أنَّ حُبي مطلقُ الكونِ ظاهرٌ ... بصـورةِ من يهـواهُ منه تخيلي
وما لي مـنـه ما أقـيـده بـه ... سوى ما شهدنا منه عندَ التَمَثُّلِ
كمريم إذا جاء البشيـرُ مُمثلاً ... على صورةٍ مشهودةٍ في التَبَّعُـل
فألقى إليها الروحُ رَوْحاً مقدَساً ... يُسمى بعيسى خيرِ عبدٍ مُرسَلِ
فلم ادر هل بالذاتِ كان وجودُ ما ... رأيت بها أو كان عـنـدَ تـأملِ

إن استجابة الصوفية للجمال الإنساني يتحقق بضرب من التخيل. والأخيرة هي القدرة على استعادة صور المحسوسات والمعاني وتفريقها وتركيبها وتفصيلها عن طريق معطيات الخيال والوهم . وبعبارة أدق القدرة على استحضار صور لم يسبق إدراكها في في الصور جملة ومنه الصور الحسية(المقيد) ، وإن كانت قد أتت عن طريق الحواس(العثمان 1981م ص213–214).

لقد ارتبطت مذاقات الصوفية في تعدد أحوالها بمكاشفات القلوب وقدرتها على الأستعداد لتصبح مؤهلة لتلقي الإشارات والأسرار الإلهية . ومكاشفات القلوب سر بين العبد وربه ، وهذا السر يجري الحديث عنه في سياقات رمزية عدة ، ولعل الخمرة واحدة من أهم تلك السياقات حضورا ،يقول (يحيى بن حبش) (السهروردي 2005م ص65){من الطويل}.

لأنوار نورِ النُّورِ في القلب أنوارُ ... وللسرِّ في سرِّ المحبين أسرارُ
ولما حضرنا، للسرور ، بمجلسٍ ... وحفَّ بنا في عالم الغيب أبرارُ
ودارتْ علينا للمعارف قهوةٌ ... يطوف بها في حضرة القُدس خمّارُ
تُخامِرُ أرباب العقول بِلُطفِها ... وتبدو لنا عند المسّرةِ أسرارُ

ومن هنا ندرك أن العلاقة بين القلب ومشاهد الأنوار الإلهية تنشأ من« مشاهدة الجمال المطلق ومطالعة تجلياته في الأعيان ، وأنه ليبدو مصحوبا بالدهشة والغبطة و الهيمان والوله وكلها ظواهر ، ينغمس فيها الصوفي ، ويستتر نوره بقوة وارد السكر ، وفي هذا الوجد الإلهي يصاب الباطن بنشاط هائل وفرح غامر يخرج الصوفي عن طوره ، مما يطلق له العنان ، فيعبر عما يجد بلغة مشكلة وألفاظ مستغربة »(نصر 1978م ص351) ولا عجب فالصوفي في حضرتها مسلوب الاختيار واللب. وإذا

كان القلب محل إدراكات الأنوار الإلهية . فإن من اسباب كمالات محلها انتفاء الغيرية عنها فمثلها مثل الخمرة لا يخالطها شئ إلا و يغير طباعها ومذاقها. فالأولى أن لا يخالطها شئي (فالصرافة) شرط كمالها . كالقلب الذي يخلو من غير محبوبه يبلغ كماله . وإلى هذا المعنى يشير الشاعر بقوله (ابن الفارض1962م ص143).

عليك بها صرفاً وإن شئت مزجها فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلمُ

فالمعارف هنا تلويح الى انكشاف الحقيقة الجامعة في قلوب وسعت انوارها ، اذ المحبة لا تخلص من شوائب الاغيار حتى يخلو قلب المحب مما سوى المحبوب. فالقهوة ومعارفها إشارة الى خلوص المحبة وكمالها ، فالقلب لا يتسع سوى لواحدة ،واذا زاحم القلب ثان انتفت المحبة الخالصة ، كذا الخمرة اذا مزجت تغيرت طباعها وزاحمها من ليس من جنسها فعدل بها عن شرع الحبيبة ومخالفة الطريقة وهو الظلم بعينه ، كيف لا و" المحب كي يصل الى مرحلة التحقيق في ذات ،عليه ان يشرب كأس المحبة صافية صرفا لانها اذا مزجت غشت الحقيقة ،وجعلتها سرابا وكانت حجرة عثرة تعترض طريق السالك الى الله" (الدقاق " التونجي 1991م ص19) فهي في حقيقة وجودها تهب للحياة الباطنة معناها " بل هي معدن الوجود. وتلك حقيقة السكر الذي قد يحصل إثر المعاينة الذوقية ومطالعة القلب لنعت الجمال بعد زوال الشعور والغيبة عن الحس والممكنات " فإذا كوشف العبد بنعت الجمال حصل السكر، وطاب الروح، وهام القلب " (القشيري2000م ص 147) والنشوة هنا حاصلة من السكر ومتأتية من الذوق عند الصوفية في حال السماع والأخيرة " رياضة عملية غايتها ترقيق القلب وتهيأته بأثارة الوجد وتزكية نار الحب في قلوب عشاق الله تعالى بالسماع الى صوت خاشع رخيم يتغنى بكلمات منظومة على نغمات موزونة تحمل الحكمة والزهد والترغيب والترهيب ما يثير انفعال السامع من شوق وطرب وحزن وخوف وانس ورجاء ..فيتواجدون ويسقطون ما يسمعون على احوالهم مع الله ..فيحدث له الاتصال الروحي ..ويجني ثمرة الاتصال"(عامر 1988 ص24–25)

فالصوفي يرى أن كل ما في الوجود يعكس حقيقية واحدة تعود به إلى الكمالات الإلهية التي خرجت في صور شتى لتدرك في(صورة او سورة) كما يصورها لنا الشاعر في الابيات الآتية .(ابن الفارض 1962م ص85)

فأعجب من سكري بغير مدامة واطرب في سري ومني طربتي
فيرقصي قلبي وارتعاش مفاصلي يصفق كالشادي وروحي قينتتي
وما برحت نفسي تقوت بالمنى وتمحو القوى بالضعف حتى تقوت
هناك وجدت الكائنات تحالفت على انها والعون مني معينتي
ليجمع شملي كل جارحة بها ويشمل جمعي كل منبت شعرة

ذلك ان" المشاهدات بالعين الباطنة كانت سببا في سكرته لدرجة أن أثار هذا السكر دهشته وكانت محل استغرابه ، فقد تجلت كمالات المطلق في الطبيعة وانكشفت له في كل مظهر حسي او معنوي ، فلا يستطيع العارف الا ان يسكر بجمالها ، ويدهش لحركتها ، ويغرق في انوارها واضوائها الخلابة ،بوصفها جزء من النور القدسي." جعفر 1999م ص100) " الذي تجلى على قلوب العارفين ساعة انكشاف الحقيقية الإلهية .كما إن انكشاف الحجب لا يتحقق إلا بقلوب عرفت المحبوب بعد زوال التعددية وخلو القلب من السوى: وفي ذلك يقول أبو الحسن (الششتري 1960م ص80)

كشفَ المحبوبُ عن قلبي الغَطا وتجلّى جهرةً مني إلّيَ
لم يشاهدْ حُسْنهُ غيري ولمْ يبقَ في الدَّير سوى المشهودِ فيَّ
وجلا عَنيَّ حجاباً كُنْتُهُ وتلاشى الكون يا صاحِ لديّ
أي حسنٍ ما بدا إلا لمنْ بل طوى العقلُ مع الكون طيْ

فعندما يصل الصوفي إلى مراتب الكمال تصبح ذاته قادرة على استكناه اسرار الوجود بدلالة التجلي في صورتها العيانية على نحو ما يشير إليه البيت الأول . ولولا تلك القوة المؤثرة (كشف المحبوب عن قلبي الغطا) وتماهيها في الفعل الإلهي لما كان ذلك مدعاة إلى التفرد في(لم يشاهد حسنه غيري) ولما بات الدير بكل ما يحمله من بعد رمزي عرفاني سوى إشارة خفية على صون المشاهدات الموظف في صورة اسلوب الإستثناء بـ سوى .وما يعكسه تركيبة (المشهود فيَّ) من تعميق وتمركز حول الأنا الشاعرة. فتنثال التجربة الشاعرة من مصادرها اللاوعية ،وتقتات لغتها من مناطق حرجة تعكس فقدانها لرقابة الحس وقيودها،كما تجلى ذلك بوضوح في قولها(بل طوى العقل مع الأكوان طيْ) . فترى ذاتها شيئاً حصيناً لا يمكن مجاراتها , وهي حال مرضية تعكس صوراً من نرجسية متنامية كما يصور الشاعر شيئاً من تجلياتها في قوله (الحلاج 1984م ص65).

لما اجتباني وأدناني وشرّفَني والكلُ بالكل أوصاني وعرَّفني
لم يبقَ في القلبِ والاحشاءِ جارحةً إلا وأعرفُهُ فيها ويعرِفُني

الشطح في شطر البيت الثاني (إلا وأعرفه فيها ويعرفني) نتاج الفناء عند الصوفية ، وهي لم تكن مجرد " كلمات ظاهرها مستشنع وباطنها صحيح مستقيم " بل تعبير عن مرحلة إمتلاء بالتجليات الاسمائية.يقول أبو مدين (التلمساني2004م ص61–62).

لولاكَ ما كانَ وُدّي ولا منازل ليلا
ولا حَدا قطُّ حادٍ ولا سرى الرَّكبُ ميْلا
يا حاديَ العِيسِ مَهْلا هل جُزْتَ في الحي أمْ لا
عشقتُهمْ فسبُوني لا تحْسبِ العشقَ سَهلا
فأينَ كُنْتُ وجئتُ حبيب لي قدْ تجلَّى
عشقتُه فَسَلَبني فصرتُ عندهُ أهلا
ظهرتَ لي بجمالٍ فَشُرْبي زاد وَعَلا
حتى إذا ما تجلَّى هواك في قلبي حَلاّ

لما كانت التجربة الصوفية تنهض على الاحتكام إلى القلب الذي يحلو فيه هوى من يحب " لأن تجربة الصوفية تقوم على حب الذات ، وهذا يتم عبر القلب الذي هو محل المعرفة اللامتناهية في الرغبة إلى العطاء الإلهي أو كما يقال" من رضي بالعطاء فقلبه في غطاء "(الهمداني2007م ص116) وقد استغرق عبد الكريم في وصف محسوساته قائلا (الجيلي 1999م ص 130–131):

وياجـفـني المقروح قد فنى الدما ويا قلبي المجروح هل أنت قارع
ويـا ذاتي المعدوم هل لك بعـثة ويـاصبري المهزوم هل أنت راجع
ويا ذاتي المعدوم هـل لك بعثة ويـاصبري المهزوم هل أنت راجع
ويـا خـفـقـان الـقلب زدني كـآبـة ويا نار أحشاي حنين الاضالع
ويا نـفـسي الحـرّاء موتي تلهُّـفـاً فما لك في دين المحبَّة شافع
ويا روحي المتعوب صبراً على البلا ويا عقلي المسلوب هل أنت والع

في الأبيات هنا نداء روحي لكل ما قد يصرفه عن شهود وحدة التجلي الالهي في الكثرة من مظاهر الوجود(حلمي 1971م ص200)، فاذا كانت " غلل الاشتياق لا تبلها لمحات التجلي ، وانما تزيدها أُدوارا ورغبة في دوام الشهود لدوام التجلي على نحو لانهائي في الصور والاشكال" (نصر1978م ص249). فكان لا بد من القلب أن يسع تجلياتها وها هو يخاطب قلبه قائلا (الجيلي1999م ص97–98) .

وكن ناظراً في القلب حسنه على هيئة المنقوش يظهر تابع
فقد صحَّ في متن الحديث تَخلَّقوا بأخلاقه ما للحقيقة مانع

لقد مثل القلب هنا صورة ذلك التعطش الدائم لبلوغ مقام الجمع بقوله (كن ناظراً في القلب صورة حسنه) بعد أن استغنى عن حظوظ النفس ومتطلباتها ومآربها ،وأخلصت النية وتخففت من شواغل الحس لتخلص من عبودية الأشياء بعد التخلي عن مراد النفس والانقياد إلى إرادة المحبوب بعد معاينة عدد آخر من المقامات التي يصفها الجيلي في النادرات العينية(الجيلي 1999م ص132–133)

فلمَّا تزوّجت الحقيقة صنتها وأمهرتها بالروح تلك الشّرائع
صعدت معالي طور قلبي مناجياً لربي حتّى أن بدت لي لوامع
وخلّفت أهلي وهي نفسي تركتها وجئت إلى النور الّذي هو ساطع

فإذا كان لمقام (الجمع) جملة من المتطلبات السلوكية فان لغيره من المقامات عددا آخر من المواضعات،رأت الذات الشاعرة ضرورة الإفصاح عنها ، اذ القلوب حافظة لكل لحظاتها وإحساساتها عبر مراقبتها لأحوال النفس وتقلباتها. وهو ما افصح عنها صاحب النادرات العينية. ومنها الأبيات الآتية (الجيلي 1999م ص104–105):

وحاسب على اللحظات قلبك حافظاً له عن حديث النّفس فهو شنائع
واضبط لها الإحساس فيه مراقباً فإنّ لنقش الحس في النّفس طابع
و وردك في صّبح الهوى ومسائه أسىً وعيون بالدموع هوامع.

والمتصوفة لا يخفون امتعاضهم من شواغل الحس وحجبه، ولا يجدون حرجا من الحط من قدرة إمكاناتها، والانتقاص من قيمة الحواس ، وفي المقابل الإعلاء من شأن القلب ومعارفه و مكتسباته. على نحو ما عبر عنه أبو الحسن بقوله(الششتري 1960م ص48){ من السريع }.

لا تـلْـتـفتْ بالله يـا ناظـري لأهْيـَفَ كالغـصنِ النَّاضـرِ
ما السِّرْبُ والـبـانُ وما لـَعلَعٌ ما الخَيْفُ ما ظبيُ بني عـامـرِ
يا قـلـبُ واصرفْ عنك وَهْمَ النقا وخَـلَّ عن سِرْب حِـمى حـاجـرِ
جـمـالُ من سمّـَيْتَـه داثـرٌ ما حاجـةُ الـعـاقـلُ بالـداثـرِ
وإنَّما مَـطْـلَبُـهُ في الـذي هامَ الورى فـي حُسْنِـه الـباهـرِ

إن حتمية زوال مكتسبات الحواس وشواغلها من اهم اسباب رفض المتصوفة للجمال الأرضي (الجزئي) و لا يعود إلى الجهل بقيمته الوجودية في منح الأشياء جمالها اللائق بها بدلالة البيت الرابع ، بل الأصح لعلةٍ في الجمال الأرضي وهو زيف هذا الجمال وبطلانه ومحدوديته ، يقابله كمال الجمال الكلي وديمومته واستمراره وأبديته وملة قلوب العارفين لا سواها إذ « القلب اشد إدراكا من العين ، وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الظاهر للأبصار ، فتكون لا محالة لذة القلب بما يدركه من الأمور الشريفة الإلهية التي تجل أن تدركها الحواس أتم وابلغ » (الغزالي 2005م/369 وينظر : كبرى 1993م ص132). فالقدرة للقلب على الإدراك نابعة من كونه شيئا لطيفاً ، قابلا على نقل الصور والمعاني وعكسها ، كما تنعكس الصورة في المرآة والمياه الصافية . ومثل هذه اللطافة لا ارتباط لها بالصور المحسوسة " لعدم تعلق الطافة بالكثافة الحسية ، فالحواس تعمل في الميادين الحسية ، أما القلب فمحله المعاني العقلية والمعنوية ، والأهم من كل ذلك هي المعاني الروحية .

إن إدراك القلوب لمتاقات الجمال الإلهي المعنوي اشد تمكينا وأقوى أثرا من رؤية الجمال المحسوس.لأننا عندئذ نكون بصدد الجمال الإلهي في صورة كماله ، وأن مشاعر الإحساس بها قلبية كما يشير إلى ذلك المعنى أبوالحسن بقوله(الششتري1960م ص 34) {من الطويل}.

لعمرُك َما ضَلَّ المُحبُ وما غوى ولكنَّـهُـمْ لما عُـموا اخطـئوا الـفـتوى
ولو شَـهِـدوا معنى جـمـالـكَ مثْـلما شَهِـدتُ بعيـن القـلب ما أنكروا الدَّعوى

فعين القلب على الحقيقية هي الشاهدة لمعاني الجمال الإلهي ، إذ الذات الصوفية لا تتكامل إلا بالمعاينة القلبية كما افصح عنه ابو الحسن في البيت الثاني ، وهو ما يقرره ابن الدباغ بقوله « ما تفيده الأنوار القدسية إذا أشرقت على العقول الزكية من الاتصاف بأنواع العلوم الدينية وأسرار المعارف الربانية المؤدية إلى المحبة الحقيقية وسائر الكمالات والفضائل ، ولا يدرك هذا الجمال إلا العقول التي هي في غاية

الصفاء المستنيرة من أنوار الله التي تكون سببا لحصول محبة الحق تعالى بجملة القلب»(إبن الدباغ 1959م ص47).

وقد ارتبط القلب عند الصوفية بكل المشاعر المصاحبة للجمال الإلهي من انس أو هيبة وفيهما يقول الصوفي "فالأنس« أثر مشاهدة جمال الحضرة الإلهية في القلب وهو جمال الجلال»(ابن عربي 2004م ص409) .أما الهيبة « فهي أثر مشاهدة جلال الله في القلب وقد تكون عن الجمال الذي هو جمال الجلال »(ابن عربي 2004م ص409) وفي الإنس يقول الغزالي «الأنس معناه استبشار القلب فرحه بمطالعة الجمال»(الغزالي 2005م ج252/4).

ولما كان القلب محل المشاهدة لصفات الجمال ونعوته ، فقد رأى الشاعر أن يعدد تلك النعوت النورانية والصفات البهية بقوله(الحلاج 1984م ص77) {من البسيط}.

شيءٌ (بقلبي) وفيهِ مِنْكَ أسماءُ لا النُّور يـدْري به –كلا .؟ ولا الظُّلَمُ

ونور وجْـهكَ سِرٌحين أشـهـدُهُ هذا هو الجُودُ والإحسانُ والـكـرَمُ

فـخُذْ حـديثيَ ، حبِّي ، أنتَ تعلمهُ لا اللَّوح يَعْلـمُهُ حـقـا و لا الـقـلمُ

إن تذوق الجمال بعين الوحدة الشهودي ناتج عن رؤية قلبية ، وهذا لا يعني امتناع الجمال على المستوى الحسي بل إن للجمال الحسي استقلالاً وانفصالا عن الرؤية القلبية الباطنة ، وهو ما يقودنا إلى القول : إن الجمال المدرك بعين القلب هو جمال موصوف بالكلية ، إذ إن « للقلب من كل صفة من صفات الله عز وجل وذاته ، ولا تزال تزداد ... وأرباب القلوب متفاوتون في ذلك ، وكل صفة على المحاضر ، وللقلب نصيب من كل صفة من صفات الحق ، فيتجلى للقلب بواسطة نصيب القلب منها،فتتجلى الصفات للصفات، والذات للذات»(كبرى 1993م ص 166–167) يقول الحلاج(1984م ص91) {من الوافر}.

قـلوبُ العـاشقـينَ لها عيـونُ تـرى ما لا يـراه النّـاظـرونا

والسـنـةٌ بأسـرارٍ تُـناجـي تَـغـيبُ عن الكِرامِ الـكاتبيـنا

وأجنحـةٌ تطـيـرُ بـغـيْرِ ريـشٍ إلى مَـلكُوتِ رَبِّ الـعالـمـيـنا

وتَـرْتَـعُ في رياضِ القُـدس طـورا وتَـشْرُبُ من بحـار الـعـارفينا

فالقلب إذن على ما سبق هو: المرتكز لانكشاف أسرار الجمال وتجلياته ، ولولا هذا التجلي المدرك بعين القلب لما ظهرت تجليات الوجود ، فكل ما يتراءى للقلب من ذوات واعيان وتعيينات ليست سوى آثار لذات الحق ، وكما يقول ابن عطاء « دل بوجود آثاره على وجود ذاته " إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه ، فأرباب الجذب –الصوفية– يكشف لهم عن كمال ذاته ثم يردهم إلى شهود صفاته ، ثم يرجعهم إلى التعلق بأسمائه ثم يردهم إلى شهود آثاره »(السكندري 2005م ص283) والمعنى إن الآثار – الموجودات– دليل على أسماء الحق المتجلية في الكون ، وان ثبوت الأسماء دليل لثبوت الأوصاف ، وثبوت الأوصاف دليل على ضرورة وجود الحق تعالى . لان الحق واحد بالذات متعدد بالأسماء والصفات ، وأسماؤه وصفاته متجلية في صور لامتناهية ، فالناظر بعين البصر يدرك تعددا واختلافا ، والناظر بعين البصيرة – القلب – ينكشف له كمال ذات الحق ، وذلك عبر التصعيد مشاهدة صفاته تعالى في حال الفناء ثم الرجوع للتعلق بالأسماء ، وأخيرا يحط رحله في شهود الآثار ، وهذا يعني إن المعاينة لعين الوحدة في مقام الفناء يختزل هذا التسلسل ، فبدلا من أن يشهد الفاني الأثر فانه تنكشف له الصفات والأسماء مجردة عن شهود الآثار الكونية على تعددها يقول (السهروردي 2005م ص60) {من الطويل}.

إذا لم تذق ما ذاقت الناس في الهوى فبالله يا خالي الحشا لا تعنفنا

وسـلم لنـا فيـما أدعـينا لأننـا إذا لم نجد كتم المواجيد صرحنا

وتـهـتز عند الاستماع قـلـوبنا تُراق دمانا جـهرة إن بـها بـحنا

وفي السر أسرارٌ دقاق لطيـفـة وزمزمْ لنا باسم الحبيبِ وَروِّحْنا

وصن سرنا في سكرنا عن حسودنا وإن أنكرت عيناك شيئا فسامحنا

فإنا إذا طـبنا وطـابت عقـولنا و خامرنا خمر الغرام تـهتكنا

فلا تلم السكران في حال سكره فقد رفع التكليف في سكرنا عنَّا

خلاصة القول في الرؤى القلبية هي إن ولوج الذات الصوفية للأعماق الباطنة مشروط بمجاوزة ظواهر الأشياء المقرونة بصفاء القلب وطهارته من أدران الشواغل وحجب الحواس ، فكلما تعمقت الذات الباطنية بالحضور القلبي حصل لها من الأسرار واللطائف ما لا يجوز الإفصاح عنه ، لأن الإفصاح إضعاف لخاصيتها الإشرافية ، مما يعني عجز الرؤية عن نقل أسرارها ، فالأسرار لا تنقل بل تمارس ، ونقلها تشويش لها ، وبعبارة أخرى تحريف لها ، فالنقل وهم كاذب ، ولأجله يستحق الناقل أن يراق دمه.

2. الخاتمة

- ✓ الشعر الصوفي في دلالاته القلبية يحمل بنية تجريدية تعمد على المعاني المجردة بهدف تشخيصها أو تجسيدها في صورة ما .
- ✓ الحضور المكثف لمفردة القلب في الشعر تجسيد حي لمكانته الروحية في معالج الأحوال الروحية الخالصة والمنازلات معرفية صارفة لغير أهلها.
- ✓ موضوع القلب في الشعر الصوفي مشتبك بمظاهر الأتصال باللذات الإلهية . فيأتي الشعر فيه توصيفا لتلك الأحوال القلبية والنفسية ، وهذا سر تجردها المسكون بالتصورات المعرفية البعيدة عن التصورات المادية في فهم الوجود.

- ✓ القلب الصوفي مصدر يحكي قصة الذات العارفة مع محبوبها ، لكون العلاقة وليدة من طبيعة انفعالية ينبثق من وصفات المحبة بين الذات وموضوعها . وتحكي تجارب ذوقية يمكن مقاسمتها مع غياب صوت المحبوب وتمكين صوت المحب .
- ✓ قلب الصوفي محل لاجتماع مشاعر الرضى والنفور من النفس . فالتمركز حول القلب يتسم بالعداء لكل ما سوى المحبوب.فقلبه في سفر دائم صوب الحق .وأنّا للوصول إلى الحق من وصول ، ومن رضى من الوصول بالمجاورة فقد انقطع به الوصول إلى الانكفاء والانزواء
- ✓ إن علاقة القلب بالمعارف الربانية مشروطة بالصفاء والقلوب في الصفاء على درجات ، فيكون إدراكها لمعرفها على تفاوت .
- ✓ اللذة القلبية للواصلين حقيقة روحية لا تتعلق بعالم المادة ، والحكم عليها حكم على غائب لا يحضر ، لأنه في النهاية يصطدم بتطلعات الروح ويتكسر على أطراف مجاهليها ، لوجود شرطين هما : الإدراك القلبي ، والذوق.

3. قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

إبن عربي 2002م ، الشيخ الأكبر أبي بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد الطائي الحاتمي المرسي ، (– 638هـ) ديوان ابن عربي ، شرحه ، احمد حسن يسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1423هـ.

إبن الفارض 1962م . ديوان ابن الفارض ، نشره كرم البستاني ، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان . بيروت .

إبن عربي 1997م ، الإمام أبي بكر محيي الدين. ديوان ترجمان الأشواق ، بشرح ناظمه العارف الكبير ، ضبط نصوصه وقدم له د. عمر فاروق الطباع ، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى بيروت1417 هـ.

ابن عربي 1976م ، للامام محمد الحاتمي المعروف ، الفتوحات المكية. دار صادر للطباعة والنشر

ابن عربي 2004م ، الحاتمي الطائي (ـ 638هـ) رسائل ابن عربي ، ، وضع حواشيه ،د. محمد عبد الكريم النمري دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية 1425هـ .

ابن الخطيب 1966م ، روضة التعريف بالحب الشريف ، الوزير لسان الدين ، تحقيق وتعليق عبد القادر أحمد عطا ، دار الفكر ، الطبعة الأولى.

ابن الدباغ 1959م تأليف عبد الرحمن بن محمد الأنصاري المعروف ، كتاب مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب ب ، تحقيق هـ . ريتر ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ، 1379هـ .

التلمساني 1962م ابو مدين . ديوان أبي مدين التلمساني. إعداد محمد بن أحمد بن المغيلي .دار التنوير للطباعة والنشر.ط1.

الجبوري 1999م ،نظله ، نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام د. ،السلسلة الفلسفية ، بيت الحكمة ، مطبعة اليرموك ، بغداد .

جعفر 1999م .د.محمد راضي ، الرؤى الصوفية في الشعر العربي الحديث ، ، (رسالة دكتوراه)، باشراف ، د. رؤوف واعظ ، مقدمة إلى كلية التربية – ابن رشد – جامعة بغداد 1420هـ.

الحلاج 1984م ،أبي مغيث الحسين بن منصور بن محمى البيضاوي (– 309هـ) صنعه وأصلحه ، أبو طريف كامل بن مصطفى بن محمد الشيبي الكاظمي المكي العبدري 1984م ، ديوان الحلاج ، ، ، ، دار آفاق عربية ، الطبعة الثانية (مراجعة ومزيدة) بغداد 1404هـ .

حلمي1971م.د.محمد مصطفى،ابن الفارض والحب الإلهي ،دار المعارف مصر.

زيدان1999م، يوسف ، النادرات العينية لعبد الكريم الجيلي مع شرح النابلسي ، دار الأمين للنشر والتوزيع ، جمهورية مصر العربية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، 1419هـ .

السهروردي 2005م ، المقتول أبي الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك (ـ 586هـ) م .د. كامل مصطفى الشيبي صنعه وأصلحه وشرحه، ديوان السهرودي ، مطبعة الرفاه.

السهروردي 2006 م ، عوارف المعارف (– 632هـ) تحقيق وضبط د. احمد عبد الرحيم السائح و توفيق وهبة ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الأولى 1427هـ.

السكندري 2005م، كتاب الحكم ، ابن عطاء الله (– 709 هـ)أحمد عز الدين عبد الله خلف الله ، طبعة مزيدة ومنقحة ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ،1426 هـ.

الشبلي 1967م . ديوان أبي بكر . جعفر بن يونس بن دلف بن جحدر (247– 334هـ) جمعه وحققه وعلق حواشيه وقدم له د. كامل مصطفى الشيبي ، دار التضامن بغداد الطبعة الأولى 1386هـ.

الششتري 1960 م ، ديوان أبي الحسن. شاعر الصوفية الكبير في الأندلس والمغرب ، د. على سامي النشار حققه وعلق عليه ، الناشر دار المعارف بالإسكندرية ، الطبعة الأولى

عامر 1988م .د. كوكب ، السماع عند الصوفية (خاصة عند الغزالي) ، شركة أخوان رزيق ، مصر الجديدة ، القاهرة .

العثمان 1981م ،عبد الكريم ،الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص ، دار غريب للطباعة،القاهرة ، الطبعة الثانية 1401هـ

الغزالي 2005 م .الإمام أبي حامد محمد بن محمد ، إحياء علوم الدين ، (505هـ) وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما الإحياء من الأخبار للإمام زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي(806 هـ) دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،الطبعة الرابعة ، 1426هـ.

القشيري 2000م ، للإمام أبي القاسم عبد الكريم ابن هوازن. ، الرسالة القشيرية ، القشيري (376–465هـ). د. عبد الحليم محمود ، علق عليه وقدم له . د. محمود بن الشريف , تحقيق مطبعة مصححة وملونة ومزيدة ،عبد الكريم العطا . دمشق.

كُبرى1993م، الشيخ نجم الدين فواتح الجمال وفواتح الجلال ، ، دراسة وتحقيق د. يوسف زيدان، دار سعاد الصباح ، الكويت،الطبعة الأولى

مسلم 1998م ، صحيح مسلم للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (– 206 – 261هـ) طبعة محققة ومفصلة ومخرجة الأحاديث ، الرياض ، 1419هـ.

مصطفى 2010م ، ايمان كمال ، عبد الكريم القشيري أديبا . – مركز البحوث والدراسات ، بغداد ط1 .

نصر 1978 م. د. عاطف جودة ، الرمز الشعري عند الصوفية ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، لبنان ، بيروت ، الطبعة الأولى .

الهمداني 2007م ، عبدالله بن محمد بن علي الميانجي السهروردي المعروف بعين القضاة ، شرح كلمات بابا طاهر العريان ، مسائل حكمية في المعارف والمشاهدات الربانية ، تأليف الشيخ المحقق (525هـ)،ضبطه وصححه وعلق عليه الشيخ عاصم ابراهيم الكيالي الحسيني الدرقاوي .دار الكتب العلمية . بيروت .الطبع الأولى ، لبنان .

4. **الدوريات**

1– ، الدقاق ، التونجي1991م ، الحب الالهي في شعر التصوف في العهد العثماني د.عمر" ميادة . مجلة بحوث ، جامعة حلب ، سوريا ، العدد 20.

2– الرضواني تحقيق د. محمود ابراهيم 2010م . قوت القلوب في معاملة علام الغيوب .ابو طالب المكي (386هـ) مجلة دار التراث القاهرة ط2.

3– المهداوي 2017م ايمان كمال مصطفى ، القلب ودلالته عند الصوفية . (بحث منشور) مجلة مداد الآداب / العدد الحادي عشر.

جوانيناسی بينينی دڵی و دۆزينەوەی لە شيعری سۆفيگەريدا

پوختە:

ئەم توێژينەوەيە لەسەر بنەمای جوانيناسی بينينی دڵييە لە ديوانی شاعيرانی سۆفيگەريدايەو نهێنييەكانيان دەخاڕوو و بەها هێماييەكانی عيرفان لە ديدگای شاعيرە نوێخوازەكان دەخاتە ڕوو، بەئامانجی گەڕانەوەی ئەم بەهايە و ژياندنەوەيان لەشارستانييەتدا.

ئەم توێژينەوەيە، وردبونەوەيە لەبارەی بەها و بنەمای ڕەوشتی. وە بارەكانی لايەنی ڕۆحی لەلای سۆفيگەرەكان. لەديدگای جيهانی دڵ، لەپێكهاتەی جيهانی شارستانييەتی خۆی پيشان دەدات. ئەمانەش لەسەر بنەمای مەنتقی ڕۆحی و هێزی دڵە، كە پشت بە نهێنييەكانی خودايی دەبەستێ. بە ئامانجی پاڵاوتنی دڵ و پاشان قۆناغی دروست بوونی بەها مرۆييەكان، كە لەدوای نۆژەنكردنەوە و پاڵاوتنيان لە فێڵ و بوغز و قين لەسكی. ئەم توێژينەوەيە بۆ ڕوومالكردنی ديوە شاراوەكانی دڵی سۆفيگەرەكانە، كە لە دووتوێی ديوانە شيعرەكان بەديدەكرێ.

لەمانەشدا هەست بە بوونی خودا دەكەی، هەست بە جوانييەكەی دەكەی. دڵ بەتاڵ دەكاتەوە لەشتە لاوەكييەكان و تژی دەكەت لە حەقيانەت.

پەيڤێن سەرەكی: دلً ، شعريی تە سە وف، مانايە كانی دلً ، ئاماژەكانی دل .

Aesthetics of the Inward Vision and its Manifestations in Sufi Poetry

Abstract:

This study focuses on the inward aesthetics in the works of Islamic mystical poets. It follows the various ways those poets manifest the mystical, spiritual, and sometimes enigmatic inward experiences and values in their major poems. The article studies the behavioral values and their spiritual mystical representations from a cordial, inward viewpoint. In establishing its doctrines, Sufism pays special attention to the soul and its inward connection to the heart. When the heart is cleansed of all earthly feelings of hatred, grudge, and resentment, Sufis start working on building human values. Thus, the present paper sets on finding the introspective and spiritual closeness and engagement with God as represented in their poetry.

Keywords: Heart, mystic poetry, Heart connotations, Sufi signs.